رسائل بولس في السجن

الدرس الثاني

بولس وأهل كولوسي

خدمات الألفيّة الثالثة
تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

© ٢٠٠٩ خدمات الألفيّة الثالثة

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفيّة الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستانيّ – ڤاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفيّة الثالثة

تأسست خدمات الألفيّة الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحيّة لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم **تعليماً كتابيّاً. للعالم. مجاناً**. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتيّاً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائط إعلاميّة متعددة في خمس لغات رئيسيّة وهي (الإنجليزيّة، والإسبانيّة، والروسيّة، والماندرين الصينيّة، والعربيّة). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليديّة، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتَب كل الدروس وتُصمَّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعيّة لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتَج مواد الألفيّة الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائيّة وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيونيّ.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
http://arabic.thirdmill.org

المحتويات

I. المقدمة

II. الخلفية

أ. العلاقات

١. الكنيسة

٢. الأفراد

ب. المشاكل في كولوسي

ج. الفلسفة اليونانية

د. الشريعة اليهودية

هـ. القوّات الروحية

III. البُنية والمحتوى

أ. التحية

ب. التشجيع

ج. تحية الختام

د. سمو المسيحية

١. سمو المسيح

٢. سمو عمل المسيح

٣. سمو الخلاص في المسيح

٤. سمو الحياة المسيحية

IV. التطبيق المعاصر

أ. الولاء للمسيح

ب. التركيز الروحي

V. الخاتمة

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

رسائل بولس في السجن

الدرس الثاني

بولس وأهل كولوسي

المقدمة

هناك قصة مشهورة جداً من تأليف الكاتب الأميركي مارك توين عنوانها "الأمير والفقير". يدعو الأمير في هذه القصة، شحّاذاً فقيراً إلى قصره، وبغرض التسلية، يتبادل الاثنان ملابسهما. ثمَّ ولسوء حظ الأمير، يُؤخذ خطأً على أنه الفقير ويُرمى خارج القصر. من جهة أخرى، بقي المتسول الذي اعتقد الناس خطأً أنه الأمير في القصر، وعاش عيشة الأمراء.

فوجئ الأمير والفقير في هذه القصة بالخلط الذي حصل بين شخصيتهما. ولو أنَّ الأمير قد عرف أنه سيُرمى خارج القصر، لما كان وافق أبداً على تبادل اللباس مع المتسوّل. إنَّ الانغماس في تسلية بسيطة كتبادل الملابس، ما كانت تستحق أبداً فقدان هذا المقدار من السلطة والامتيازات.

كان الوضع في كولوسي في القرن الأول، يشبه بطريقةٍ ما، قصة "الأمير والفقير." كان مسيحيو كولوسي عازمين على المشاركة في أشكالٍ من العبادات الوثنية. ولذا، كتب إليهم بولس مذكراً إيّاهم بالبركات الوافرة والامتيازات الخاصة الذين ينعمون بهم في المسيح، وليحذّرهم من مبادلة هذه البركات والنعم بالمنافع الهزيلة التي تدَّعي العبادة الوثنية أنها تقدّمها.

هذا هو الدرس الثاني في سلسلتنا "رسائل بولس في السجن." وقد أعطينا هذا الدرس عنوان "بولس وأهل كولوسي." سنطالع في هذا الدرس رسائل بولس القانونية إلى أهل كولوسي. في هذه الرسالة كما سنرى، يردُّ بولس بقوة على هذه التعاليم الضلالية التي أُدخلت على العبادة المسيحية إجلال وتعظيم كائناتٍ روحية دونيَّة.

تنقسم دراستنا لبولس وأهل كولوسي إلى ثلاثة أجزاء. أولاً، سوف نستكشف خلفية رسالة بولس إلى أهل كولوسي. ثانياً، سوف نتفحّص بنية ومحتوى هذه الرسالة. وثالثاً، سوف نركّز على التطبيق العصري لهذه الرسالة. دعونا ننظر أولاً إلى خلفية رسالة بولس إلى أهل كولوسي.

الخلفية

كان بولس رسولاً ليسوع المسيح، وكانت كتابة الرسائل وجهاً من وجوه خدمته المعتمدة كممثّلٍ ليسوع المسيح. هناك ناحية أخرى للرسولية وهي الخدمة الرعوية للكنائس والأفراد. ولهذا، فإن

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

رسائل بولس لم تكن مجرد تجميع للتعليم الموثوق. على الأصح، كانت هذه الرسائل شخصية ورعوية، كتبها بدافع محبته واهتمامه بالكنائس والأشخاص الذين كتب إليهم. وكذلك كانت رسائل بولس "ظرفية." وذلك لأنها قد كتبت لتخاطب موأضيع محدّدة وفي أوقاتٍ وأمكنة معيّنة.

ولهذا، فمن المهم بالنسبة لنا ونحن ندرس رسالة بولس إلى أهل كولوسي، أن نعرف شيئاً عن الظرف أو السبب الذي حدا ببولس للكتابة. علينا أن نطرح أسئلةً مثل: ما هي المشاكل التي واجهها أهل كولوسي؟ ما الذي دفع بولس لأن يكتب إليهم؟

سوف نتكلم عن خلفية رسالة بولس إلى أهل كولوسي من ناحيتين. أولاً، سنذكر بعض تفاصيل علاقته مع كنيسة كولوسي بشكل عام، ومع أفرادٍ في هذه الكنيسة. وثانياً، سوف نتحرَّى بعض المشاكل في كولوسي التي كانت تهمُّ بولس. دعونا نبدأ أولاً بالنظر إلى علاقات بولس مع أهل كولوسي.

العلاقات

لم يكنْ لبولس علاقات متساوية مع جميع المؤمنين في كولوسي، ولذا، سوف نركّز أولاً على علاقته بالكنيسة بشكل عام، ومن ثمَّ نركّز على علاقته بأفرادٍ معيَّنين. دعونا نلتفت أولاً إلى علاقته بكنيسة كولوسي.

الكنيسة

كانت مدينة كولوسي تقع في إقليم آسية الروماني، في منطقة تُدعى فيريجية. وتمتد هذه المدينة من وادي ليكوس، إلى الشرق قليلاً من مدينة لاودكية، وهي أكبر مساحةً ومعروفةً على نطاقٍ أوسع. كانت كولوسي صغيرةً نسبياً. وبالمقاييس الاقتصادية والسياسية لتلك الأيام، فقد كانت بالتأكيد أقل المدن أهميةً لتتلقّى أيّاً من رسائل بولس القانونية. في الواقع، لمْ يقمْ بولس بزيارة الكنيسة في كولوسي أبداً، ولكن مع ذلك كان مهتمّاً إلى أبعد الحدود بهم. فلنستمع إلى ما يقوله في كولوسي ٢: ١:

فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيَّ جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ، وَجَمِيعِ الَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَجْهِي فِي الْجَسَدِ. (كولوسي ٢: ١)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أثناء رحلته التبشيرية الثانية والثالثة، مرَّ بولس في فريجية، ولكن لسببٍ ما، لم يقمْ بزيارة كنيسة كولوسي. من المحتمل أنه زار كولوسي قبل إنشاء الكنيسة هناك. أو ربما أنه زار المدينة ولم تسنح له الفرصة بزيارة الكنيسة. ومن المحتمل أيضاً أنه لم يزرْ مدينة كولوسي أبداً. ومهما يكنْ الأمر، فإن بولس لم يكن يعرف معظم هؤلاء المؤمنين شخصياً.

وعلى الرغم من ذلك، فباستطاعتنا معرفة بعض الأمور حول علاقة بولس بأهل كولوسي، من التفاصيل التي وردت في رسالته إليهم، كما من رسالته إلى فليمون، الذي كان يقيم في كولوسي. فمثلاً، نقرأ أنَّ بولس كانت له علاقة غير مباشرة مع أهل كولوسي عَبر ممثلين، مثل أصدقائه الكولوسيين، أبفراس، فليمون وأنسيمس، وحامل رسالته تيخيكس.

ثانياً، مع أنَّ بولس وأهل كولوسي لم يلتقوا وجهاً لوجه، إلاَّ أنهم كانوا يتبادلون الرسائل مع بعضهم البعض. مثال ذلك، فقد أحضر أبفراس لبولس تقريراً عن أهل كولوسي. وأرسل بولس رسالة واحدة على الأقل، إلى الكنيسة في كولوسي، أي الرسالة الواردة في العهد الجديد إلى أهل كولوسي.

ثالثاً، كانت خدمة بولس وأهل كولوسي متبادلة. على سبيل المثال، إلى جانب صراعه في السجن لأجلهم، صلّى بولس لأجل أهل كولوسي على وجه التحديد. كما كتب في كولوسي ١: ٩:

مِنْ أَجْلِ ذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا، مُنْذُ يَوْمَ سَمِعْنَا، لَمْ نَزَلْ مُصَلِّينَ وَطَالِبِينَ لأَجْلِكُمْ أَنْ تَمْتَلِئُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ. (كولوسي ١: ٩)

صلّى بولس بانتظام لأجل أهل كولوسي، ملتمساً لهم البركات التي عرف أنها ستكون الأكثر فائدةً لهم.

رابعاً، أهل كولوسي بدورهم خدموا بولس. نعرف من رسائل بولس إلى أهل كولوسي وإلى فليمون، إنَّ أبفراس وأنسيمس وهما من أهل كولوسي، زارا بولس في السجن. وبما أنَّ كنيسة كولوسي قد أرسلت مبعوثين إلى بولس، فمن المنطقي أن نستنتج أنهم صلّوا لأجله أيضاً.

باختصار، على الرغم من أنَّ بولس لم يلتقِ شخصياً بمعظم المؤمنين من أهل كولوسي، فقد كانوا يتبادلون المودّة والألفة، ممَّا جعل علاقتهم راسخة وصحيحة.

بعد أن رأينا طبيعة علاقة بولس بكنيسة كولوسي، ينبغي أن ننظر في علاقته بأفرادٍ بعينهم في كنيسة كولوسي، كانت تربطه بهم علاقة أكثر أُلفةً.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الأفراد

كان لبولس عدد من الأصدقاء من أهل كولوسي. وهؤلاء لم يكونوا مجرد أشخاص قد تعرَّف بهم، بل أصدقاء شخصيين، كان العديد منهم قد عملوا جنباً إلى جنب مع بولس في خدمة الإنجيل. ثلاثة من مثل هؤلاء الأصدقاء كانوا، فليمون، أبفية، أرخِبُّس. فلنستمع إلى كلمات بولس في فليمون ١-٢، التي هي بمثابة التحية والسلام في تلك الرسالة:

إِلَى فِلِيمُونَ الْمَحْبُوبِ وَالْعَامِلِ مَعَنَا، وَإِلَى أَبْفِيَّةَ الْمَحْبُوبَةِ، وَأَرْخِبُّسَ الْمُتَجَنِّدِ مَعَنَا، وَإِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ. (فليمون ١-٢)

فليمون على الأقل، كان صديقاً مقرباً لبولس. وإنَّ ذكر بولس لأبفية قد يبدو دليلاً على أنه كان يعرفها كذلك. يعتقد العديد من دارسي اللاهوت أنها كانت أحد أفراد بيت فليمون – زوجته على الأرجح. ولما كان أرخبُّس شخصاً له مكانته في الكنيسة، فإن أسلوب الخطاب الذي وجَّهه إليه بولس يمكن أن يكون شرفياً. ولكن من المرجّح أكثر، أنه كان أيضاً من أفراد عائلة فليمون، ربما ابنه.

هناك صديقٌ آخر لبولس من كولوسي وهو أبفراس. أشار بولس لأبفراس كرفيق عمل ورفيق سجن، وذكر أنَّ أبفراس كان خادماً أميناً للمسيح. وكان موجوداً مع بولس في السجن عندما كتب بولس رسالته إلى كنيسة كولوسي.

كان أنسيمس صديق بولس، أيضاً من كولوسي. وقد كان عبداً التحق ببولس بعد فراره من فليمون، والذي انتهى به الأمر في خدمة بولس في السجن.

يبدو أنَّ معظم أصدقاء بولس قد كانوا مرتبطين بطريقةٍ ما بفليمون. ولكن أيَّاً كان الرابط بينهم، فمن الواضح أنَّ علاقة بولس مع هؤلاء الأصدقاء كانت أوثق من علاقته بكنيسة كولوسي بوجهٍ عام. ولكن، وكما تُظهر رسالته إلى أهل كولوسي، من الواضح أنَّ علاقته بهؤلاء الأصدقاء قد زادت من محبته لجميع المؤمنين في كولوسي.

وهكذا عموماً، كان لبولس علاقة شخصية محددة جداً مع كنيسة كولوسي. ولكنه اهتمّ كثيراً بشكل شخصي ببعض أعضائها. كان يكنُّ مشاعر قوية لكنيستهم، ليس فقط لأنه كان رسولاً، بل لارتباطها بأصدقائه.

بعد أن تفحّصنا علاقات بولس بأهل كولوسي بشكل عام، وبأفراد معينين من كولوسي، نحن على استعدادٍ الآن لتحرّي المشاكل في كولوسي التي تعني بولس. ما الصعوبات التي واجهها

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المؤمنون في كولوسي؟ ما الذي دفع بولس إلى الكتابة إليهم؟

المشاكل في كولوسي

بينما كان بولس في السجن، زاره رجلٌ يدعى أبفراس، وهو من مدينة كولوسي. وأخبر أبفراس بولس عن بعض التعاليم الزائفة التي كانت تهدّد كنائس وادي ليكوس، بما فيها كنيسة كولوسي. وهكذا، ولكي يدافع عن الكنيسة ضد هذه التعاليم الزائفة، كتب بولس رسالته إلى أهل كولوسي. ومع أننا لا نعرف كلَّ تفاصيل الأخطاء التي حصلت في كنيسة كولوسي، إلاَّ أنَّ رسالة بولس تخبرنا بعض الأشياء عنها.

أولاً، يبدو أنَّ التعليم الخاطئ في كولوسي قد مزج ما بين التعاليم المسيحية وعناصر من الفلسفة اليونانية. ثانياً، استند بشكلٍ كبير على الشرائع اليهودية. وثالثاً، أصرَّ على وجود كائنات ملائكية عديدة، كان مطلوباً من المسيحيين استرضاؤها وإجلالُها. دعونا ننظر أولاً إلى جوانب هذا التعليم المتعلقة بالفلسفة اليونانية.

الفلسفة اليونانية

في القرن الأول، وفي البلدان الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، لم يكنْ هناك تمييز دقيق بين الحدس الديني من جهة، والدراسة الفكرية من جهة أخرى. وبالنتيجة، أصبحت كلمة فلسفة تطبَّق على بدع الأديان الغيبية، خاصة منها، تلك المؤسسة على التقاليد الدينية. وقد تضمنت هذه التقاليد في أغلب الأحيان أسراراً وشعائر خاصة، وكذلك علوماً وحكمة لا يعرفهما أحد. ومن المحزن أنَّ بعض هذه الفلسفة الغيبية قد وجدت طريقها إلى كنيسة كولوسي. نستطيع أن نرى قلق بولس بهذا الشأن في كولوسي ٢: ١–٤:

> **فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّ جِهَادٍ لِي لأَجْلِكُمْ، ... لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ، الْمُدَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ ... لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق. (كولوسي ٢: ١–٤)**

تدلّ كلمات بولس إلى أنَّ أهل كولوسي قدّروا الأمور السر والحكمة والعلم، وهذه جميعها ما

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

كانت تقدّرها بالمثل تلك الفلسفة والعقيدة اليونانية. لهذا، وكردٍّ على ادّعاءات المعلمين الكذبة في كولوسي، شدّد بولس على أنَّ السرّ الحقيقي، والحكمة والمعرفة نجدهم فقط في المسيح، وليس في دين وثني. وفي كولوسي ٢: ٨، استهدف بولس بوضوح الفلسفة الوثنية وأدانها بعبارات ثابتة:

اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. (كولوسي ٢: ٨)

هنا، يسمّي بولس التعليم الخاطئ وبشكل مباشر الفلسفة والغرور الباطل. وكما سبق وأن رأينا، تشير كلمة فلسفة في استعمالها اليوناني النموذجي، إلى الحدس الديني المبنيّ على التقاليد، وليس إلى دراسة فكرية ومنطقية خالصة.

تلوّح هذه الآيات إلى أنَّ المعلمين الكذبة في كولوسي كانوا شغوفين بالمعتقدات والشعائر المبنية على الديانة اليونانية والبدع الباطنية. ولكي يتمّ قبولهم في الكنيسة، فقد اعتنقوا بعض عناصر الديانة المسيحية. ولكن من الواضح، أنهم لم يعتنقوا التعاليم المسيحية كما علّمها الرسل، وإلاَّ لما كانوا قد اعتمدوا على البدع الغيبية كأساسٍ للنظام الذي يتّبعونه.

يبدو أنَّ الفلسفة الوثنية التي كان يدافع عنها المعلمون الكذبة في كولوسي قد تضمنت أيضاً عناصر زهد. والزهد هو تجنّب المتعة الجسدية، على غير الوجه الصحيح. وهو مترسّخٌ غالباً في الفكرة المغلوطة القائلة بأن المتعة هي شيءٌ لا أخلاقي، وتذهب بعيداً في بعض الأحيان إلى درجة الحضّ على إيقاع الأذى الجسدي بالنفس. كتب بولس منددا بهذا النوع من الزهد في كولوسي ٢: ٢٠–٢٣:

إِذًا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا... تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: «لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ!» ... الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، ... وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ. (كولوسي ٢: ٢٠–٢٣)

يعترض بولس على ممارسات الزهد والتنسّك في كولوسي لسببين على الأقل. أولاً، لأن زهدهم كان مبنياً على المبادئ الأساسية للعالم. وكما سنرى لاحقاً في هذا الدرس، فإن هذه العبارات تشير إلى الكائنات الروحية والقوى الملائكية. ثانياً، لأنه كان من العبث مقاومة الخطيئة حسب اعتقادهم فلا فائدة ترجى من ذلك.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

باختصارٍ إذن، حاول المعلمون المزيفون في كولوسي أن يخلطوا ما بين تعاليم الكنيسة والتقاليد اليونانية التي كان من المفترض أن تأتي بالحكمة للمؤمنين وتقوّيهم أمام التجربة. ولكن في الواقع، كانت الحكمة التي قدّموها زائفة، وكانت ممارساتهم لا قيمة لها، وتعاليمهم أنكرت سمو المسيح.

بالإضافة إلى ترويجهم للفلسفة اليونانية، أدخل المعلمون الزائفون في كولوسي العديد من الممارسات المبنية على الشريعة اليهودية. ومع ذلك، فقد انحرف فهمهم واستخدامهم للشريعة اليهودية عن كلٍّ من التقليد اليهودي والممارسات المسيحية الصحيحة.

الشريعة اليهودية

وكما قد رأينا في دروسٍ أخرى، أقرَّ بولس بشريعة موسى. وكان راغباً في أن يقبل ويشارك في العديد من الممارسات اليهودية التقليدية في سبيل الإنجيل. إذن، لو أنَّ المعلمين الكذبة في كولوسي قد استخدموا الشريعة بطريقةٍ صحيحة، لما كان بولس انتقد استخدامهم لها. إنَّ انتقاده يدلّ على أنَّ المعلمين الكذبة كانوا يسيئون استخدام التعاليم والممارسات اليهودية. في كولوسي ٢: ١٦، يشير بولس إلى عددٍ من الممارسات اليهودية التي أُساء المعلمون الزائفون استعمالها حين كتب:

فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَلٍ أَوْ سَبْتٍ. (كولوسي ٢: ١٦)

من الواضح أنَّ المعلمين الزائفين في كولوسي شدّدوا على ممارساتٍ بعينها، مشتقّةً من شريعة العهد القديم. وهذه تضمّنت المحافظة على التقويم اليهودي، مثل الاحتفالات الدينية، والاحتفال بظهور الهلال ويوم السبت، وكذلك التقييّد في المأكل والمشرب. ولكنهم لم يعملوا بهذه الأنظمة من العهد القديم، على نحو ما وردت في شريعة موسى، ولا هم طبّقوها كما فعل الرسل. على النقيض من ذلك، أعلن بولس أنَّ ممارساتهم شوّهت شريعة العهد القديم وعرّضت للهلاك المصائر الأبدية لأولئك الذين يتبعونهم. كما كتب بولس في كولوسي ٢: ١٧–١٨:

الَّتِي هِيَ ظِلُّ الأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ. لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُعِ وَعِبَادَةِ الْمَلاَئِكَةِ. (كولوسي ٢: ١٧–١٨)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

لا تربط شريعة موسى ما بين الأيام المقدَّسة وعبادة الملائكة، بل تربط بينها وبين عبادة الله. ولا تحضُّ على حميّةٍ خاصة كسبيل للتواضع أو الزهد، بل كعلامة على كونهم مميَّزون عن غيرهم باعتبارهم شعب الله الخاص. لكن المعلمين الزائفين أفسدوا هذه الشرائع واستخدموها في عبادة الأوثان والزهد الوثني. في كولوسي ٢: ١١-١٢، يضيف بولس الختان إلى لائحة الشرائع اليهودية التي أساء المعلمون الزائفون استخدامها:

وَبِهِ أَيْضًا خُتِنْتُمْ خِتَانًا غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، ... بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ... (كولوسي ٢: ١١-١٢)

كما يظهر، كان المعلمون الزائفون في كولوسي يحضّون على شكلٍ من الختان المسيحي. ولهذا، ربط بولس ما بين الختان والمعمودية المسيحية، لكي يعلِّم أهل كولوسي أنَّ لا حاجة لهم للختان لأنهم معمَّدون.

بالاختصار، في رسالته إلى أهل كولوسي، كتب بولس ضد إساءة استخدام شريعة موسى؛ ولم يكتب ضد الشريعة نفسها. وفي مكانٍ آخر، أكّد بولس إلى أنَّ شريعة موسى هي الأساس الصحيح للسلوك الأخلاقي المسيحي والممارسات المسيحية الصحيحة، وإنها تعلّمنا أشياء كثيرة صحيحة عن الله. ولكن هنا في رسالته إلى أهل كولوسي، ركَّز على دحض تعاليم وممارسات المعلمين الزائفين المحددة، مستنكراً الطريقة التي أفسدوا بها قوانين مسنونة معينة في الشريعة، ومصرّاً على أنَّ الكنيسة ترفض هذه التحريفات.

إلى جانب استعمال المعلمين الزائفين في كولوسي للفلسفة اليونانية وتبنّيهم ممارساتٍ تستند على الشريعة اليهودية، فقد قاموا بالترويج لعبادة الكائنات الروحية، مشجعين المسيحيين على إجلال واسترضاء هذه القوى.

القوّات الروحيّة

كان تزلّف كنيسة كولوسي لعبادة القوّات الروحية واضحاً بطرقٍ ثلاث على الأقل. أولاً، كتب بولس عن عبادة الملائكة، ثانياً، تطرّق إلى مسألة الحكّام والسلطات. وثالثاً، تعامل مع مشاكل تتعلق بالأركان الأساسية لهذا العالم. علينا أن نبدأ بالنظر إلى ذكره لعبادة الملائكة.

الملائكة بحسب الكتاب المقدس، هم خدّام الله، ولطالما لعبوا دوراً في الخلق. وقد فوَّضهم

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الله بأعمالٍ عدة، من الحروب الروحية، إلى التأثير على السياسة القومية، وتسليم رسائل لشعبه، وإلى الاهتمام بالاحتياجات الأرضية للمؤمنين. وكانت الكنيسة الأولى مدركة تماماً لهذه الأدوار. كما نقرأ في عبرانيين ١: ١٤:

أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ! (عبرانيين ١: ١٤)

حقاً، الملائكة هي أرواح خادمة، ومن المهم أن نتعرّف على عملهم. ولكن وفقاً لتعاليم المعلمين الكذبة في كولوسي، فالملائكة كانوا أكثر بكثير من مجرّد خدّام؛ فقد كانوا قوّات كونية، ووسطاء روحيين يكشفون التعاليم السريّة لأولئك الذين يودّون تأدية شعائرهم الدينية والتعبّد لهم. أدان بولس هذه الممارسات بشكلٍ مباشر في كولوسي ٢: ١٨، حيث كتب:

لاَ يُخَسِّرْكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُعِ وَعِبَادَةِ الْمَلاَئِكَةِ، مُتَدَاخِلاً فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ، مُنْتَفِخًا بَاطِلاً مِنْ قِبَلِ ذِهْنِهِ الْجَسَدِيِّ. (كولوسي ٢: ١٨)

ادّعى المعلمون الكذبة أنهم تلقّوا رؤى من الملائكة، وعلى هذا الأساس، شجّعوا مؤمنين آخرين على إتمام الشعائر المناسبة بحيث قد يمكنهم تلقّي رؤى مشابهة. وربما يكون هؤلاء المعلمون الكذبة قد اختبروا الرؤى حقاً، بيد أنها كانت من الأبالسة وليس من ملائكة الله القديسين. وألا، فقد يكونون قد اختبروا بكل بساطة الاستجلاب الذاتي أو حتى النشوة والغيبوبة الذهنية، أو يمكن حتى، أنهم كانوا كاذبين.

أيَّاً كانت القضية، فإن هذه النظرة المبالغ فيها لقدرة وتأثير الملائكة، كانت شائعة في العالم القديم. وكذلك تمسَّك بعض المعلمين اليهود بأفكارٍ مماثلة حول الملائكة. وقام بعض الفلاسفة اليونانيين بتعليم أمور مشابهة حول قدرتهم على تبليغ الوحي وقواهم الروحية. وللأسف الشديد، كان المسيحيون في كولوسي قد ألفوا هذه الأفكار، ممَّا جعل على الأرجح التعاليم الخاطئة تبدو معقولة، مفسحة المجال أمام هذه العقائد الباطلة ليكون لها موطئ قدم في كنيسة كولوسي.

والآن بعد أن نظرنا إلى إشارات بولس إلى عبادة الملائكة، ينبغي أن ننتقل إلى مناقشة موضوع الحكّام والسلطات. إنَّ عبارات مثل "قوة" و"سلطة" بلغة القرن الأول، كانت تشير إلى الكائنات الروحية، كالملائكة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وكما كنَّا قد رأينا، شجع المعلمون الزائفون في كولوسي المؤمنين على عبادة الملائكة والكائنات الروحية. وكان ردُّ بولس على هذه الهرطقة بالتشديد على تفوُّق المسيح على أية قوة أو سلطة إن في السماء أو على الأرض. وكتب عن تفوُّق وسمو المسيح في كولوسي ١: ١٦:

فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. (كولوسي ١: ١٦)

يذكر بولس في هذه الآية العروش والسيادات والرياسات والسلاطين. العروش والسيادات تترجم أشكالاً من الكلمات اليونانية "*thronos*" و"*kuriotēs*". جميع هذه الكلمات كانت تشير إلى الملوك البشريين وسلاطين آخرين على الأرض، ولكنها قد تشير أيضاً إلى الكائنات الروحية. والرياسات والسلاطين بدورهم، ترجمة للكلمات اليونانية "*archē*" و"*exousia*"، وهي كلمات تشير عادةً إلى القوى الروحية، كالملائكة والشياطين.

كانت النظرة العامة للمعلمين الكذبة في كولوسي أنَّ السلطات الروحية، للملائكة والشياطين، كانت أعظم بكثير من السلطات الأرضية التي لنظرائهم البشر. وقد بالغ المعلمون الزائفون كثيراً في مزاعمهم عن قوة الملائكة والشياطين، إلى درجةٍ أنهم نسبوا إلى هؤلاء الحكَّام اللامنظورين، أعمالاً وقدرات لا أحد يملكها إلاَّ المسيح وحده.

أظهر بولس ضلالهم بتقديمه الحمد والتسبيح للمسيح، بصفته ربّ الخليقة كلها. عوضاً عن التمييز بين السلطات الأرضية والروحية، تعامل معهم بولس على أنهم واحد، مشيراً إلى أنَّ ما يجمع بين الروحاني والأرضي هو أكثر ممَّا يفرِّق بينهما. فكلاهما مخلوقان، وكلاهما أدنى مرتبةً من المسيح. لم يكن الفرق الحقيقي ما بين الروحاني والأرضي كما أصرَّ على ذلك وصوَّره المعلمون الزائفون، بل كان متعلقاً بالمسيح وهو فوق الجميع. مرة أخرى، كما قال بولس في كولوسي ١: ١٦:

فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ. (كولوسي ١: ١٦)

ذهب بولس إلى القول بأن القوات الروحية والمسيح هما في نزاعٍ مباشر. اعتقد المعلمون الزائفون أنَّ عبادة المسيح كانت متوافقة مع عبادة السلطات الروحية. ولكن بولس أشار إلى أنه بغضّ النظر عن كيفية تصوّر المعلمين الزائفين للكائنات الروحية التي كانوا يعبدون، فالحقيقة هي

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أنَّ الشياطين فقط هم الذين يسمحون لأنفسهم بأن يُعبَدوا، ولا دخل للملائكة بمثل هذه العبادة الوثنية. ولا يسمح المسيح بعبادة أعدائه. تكلَّم بولس عن هذه النقطة في كولوسي ٢: ١٥، حيث كتب:

إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ. (كولوسي ٢: ١٥)

عبر صليب يسوع المسيح جرَّد اللّه القوى والسلطات الروحية من أسلحتها وانتصر عليها. بكلماتٍ أخرى، كانت هذه القوى والسلطات الروحية في حربٍ روحية مع الله. كانوا عصاة، وأرواحاً شرّيرة، وأعداء الله. لقد كانوا شياطين وليس ملائكة. ولكن من خلال يسوع المسيح، جرَّد الله هؤلاء الشياطين من قدرتهم على القتال وأذلَّهم وأوقع بهم الهزيمة. هؤلاء الشياطين المدحورون، والمقهورون، والعاجزون، كانوا القوى الروحية التي عبدها المعلمون الزائفون في كولوسي، وهم مَن أشار بولس إليهم على أنهم " الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ".

بإمكاننا الآن وقد استكشفنا ما ذكره بولس عن الملائكة والرياسات والسلاطين الروحية، أن ننظر فيما قاله بولس عن الأركان الأساسية لهذا العالم. وكما سبق وأن قلنا، فإن هذا كان تعبيراً آخر يشير إلى الكائنات الروحية.

في القرن الأول، كانت عبارة "*stoicheia*"، والتي يمكن ترجمتها الأركان الأساسية، تشير بشكلٍ عام إلى الآلهة والقوى الروحية التي كانت ترتبط بالنجوم والكواكب. وكلمة "*stoicheia*" كانت تُستخدم أيضاً للإشارة إلى العناصر الطبيعية الأساسية الأربعة: الأرض، الهواء، النار، والماء. كان يُعتقد بأن هذه الأركان أو العناصر الأساسية، تؤثر وتتحكّم بمصائر الرجال والنساء. استخدم بولس كلمة "*stoicheia*" بهذا المعنى بشكلٍ واضح في غلاطية ٤: ٨-٩، حيث كتب:

لكِنْ حِينَئِذٍ إِذْ كُنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَ اللهَ، اسْتُعْبِدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بِالطَّبِيعَةِ آلِهَةً ... فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضًا إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ. (غلاطية ٤: ٨-٩)

كلمة الأركان هنا هي، ترجمة للكلمة اليونانية "*stoicheia*"، وتشير إلى أولئك الذين ليسوا بالطبيعة آلهة. أيّ أنها تشير إلى الشياطين المتنكّرة في هيئة آلهة وثنية. ومعنى "*stoicheia*" نفسه، هو أيضاً ما قصده بولس في رسالته إلى أهل كولوسي ٢: ٨، حيث أدان هذه الأركان الأساسية:

اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ،

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. (كولوسي ٢: ٨)

أشار بولس إلى الأركان الأساسية أو "*stoicheia*" على أنها الأساس الذي قامت عليه فلسفة المعلمين الزائفين. بكلماتٍ أخرى، كان يسعى لإثبات أنَّ التقاليد الدينية التي يتّبعها المعلمون الزائفون ينبغي أن تُرفض، لأنها تستجير بآلهةٍ مزيفة.

وممَّا يثير الاهتمام، أنَّ بعض فروع الديانة اليهودية كانت تتمسّك بأفكارٍ مماثلة حول العناصر والقوى الروحية، خاصة أثناء الفترة الواقعة ما بين العهدين القديم والجديد. ويبدو أنَّ هذا قد مهّد الطريق للهرطقة المسيحية التي ظهرت في كولوسي في أيام بولس. ويظهر أنَّ المعلمين الزائفين في كولوسي قد جمعوا بين تمسّك اليهود بالنصّ، وبين العقيدة الوثنية والديانة المسيحية، وأنهم قد شجعوا عبادة هذه القوى الروحية أو الكونية التي تُعرف بالأركان الأساسية أو "*stoicheia*".

واجهت الكنيسة في كولوسي بعض التحديات الفعلية في القرن الأول. خلافاً لغيرها من الكنائس، لم يتلقَّ أعضاؤها أبداً، كما يبدو، تدريباً رسولياً. ومع أنَّ الكنيسة قد زرعها رجالٌ أتقياء، إلاَّ أنها لم تكن راسخة بثبات في لاهوت الرسل. وهذا ما جعل المسيحيين في كولوسي بشكلٍ خاص، ضعفاء أمام التعليم الزائف. ولهذا، عندما بدأ المعلمون الزائفون يمطرونهم بالعبارات اليهودية والوثنية الباطلة، كان من الصعب عليهم أن يفرّقوا ما بين الحق والباطل. ولكنهم بحكمةٍ أدركوا مشكلتهم والتمسوا العون من بولس.

البُنية والمحتوى

الآن وقد استعرضنا خلفية رسالة بولس إلى كنيسة كولوسي، ننتقل إلى موضوعنا الثاني: بنية ومضمون رسالة بولس إلى أهل كولوسي. يمكن تقسيم رسالة بولس إلى أهل كولوسي إلى أربعة أقسام رئيسة:

التحية في الإصحاح ١: ١–٢؛ والتشجيع على تقديم الشكر وطلب الشفاعة في الإصحاح ١: ٣–١٤، أمَّا الجزء الرئيسي في الرسالة فهو يعالج موضوع سمو المسيحية في الأصحاح ١: ١٥–٤: ٦؛ ثم تحية الختام في الإصحاح ٤: ٧–١٨.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

التحية

التحية في الإصحاح ١: ١–٢ تعرِّف الرسول بولس على انه الكاتب الرسمي لهذه الرسالة، وتذكر أنها مرسلةٌ أيضاً من تلميذهُ تيموثاوس. من الواضح، أنَّ بولس هو الكاتب الرئيسي لأنه هو فقط مَن وقَّع الرسالة. وكذلك يتضمن هذه التحية بركة قصيرة التي تعمل وتقوم مقام الترحيب.

التشجيع

التشجيع بتقديم الشكر لله وطلب الشفاعة، الموجود في الإصحاح ١: ٣–١٤، كان نتيجة تقرير عن كنيسة كولوسي أرسله أبفراس إلى بولس. كان أبفراس الخادم الذي أسس كنيسة كولوسي. وستسترجع في ذاكرتك أنه أيضاً قد أمضى مع بولس فترة من الوقت أثناء سجنه. عندما قام بزيارة بولس، أخبره عن إيمان ومحبة المؤمنين في كولوسي، وقضيا وقتاً طويلاً في الصلاة لأجل كنيسة كولوسي. ولهذا، عندما كتب بولس إليهم، أخبرهم كم هو يشكر الله باستمرار لأجل إيمانهم وخلاصهم. وأعلمهم أنه يسأل الله دائماً في صلاته أن يباركهم، وخاصة أن يهبهم الفهم الروحي، وأن يقوِّيهم في كل عملٍ صالحٍ.

تحية الختام

في خاتمة الرسالة إلى أهل كولوسي، أي قسم التحية الختامية في الإصحاح ٤: ٧–١٨، بعث بولس بتحية الأشخاص العديدين الذين كانوا معه في السجن، إلى أهل كولوسي.

تدلّ الخاتمة على أنَّ بولس بعث هذه الرسالة إلى أهل كولوسي عن طريق تيخيكس وأنسيمس. وكذلك سلَّم تيخيكس الرسالة إلى أهل أفسس، وأوصل أنسيمس الرسالة إلى فليمون. وهذا على ما يبدو، دلالةً على أنَّ الرسائل الثلاث إلى كولوسي، وأفسس، وفليمون، كانت قد كُتبت وسُلّمت في الفترة نفسها تقريباً.

تذكر الخاتمة أيضاً رسالته إلى كنيسة لاودكية وتوصي أهل كولوسي بقراءتها، كما تطلب منهم مشاركة أهل لاودكية في قراءة رسالة كولوسي. نفهم من هذا أنَّ بولس قصد أيضاً أن تكون رسائله قابلة للتطبيق لمختلف السامعين، حتى ولو أنه كتبها لأشخاصٍ محدّدين وفي ظروفٍ معينة. وكما سنرى في درسٍ لاحق، من المحتمل أن تكون رسالة بولس إلى أهل أفسس، هي نفسها الرسالة

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المذكورة هنا على أنها إلى أهل لاودكية.

سمو المسيحية

يبدأ القسم الرئيسي من رسالة بولس ١: ١٥–٤: ٦. يتكلم هذا القسم بإسهاب عن سمو المسيحية وتعاليمها فوق مذهب المعلمين الكذبة.

تقع مناقشة بولس لهذا الموضوع في تقسيمات أربعة: أولاً، سمو المسيح في ١: ١٥ –٢٠. ثانياً، سمو خدّام المسيح في ١: ٢١–٢: ٥. ثالثاً، سمو الخلاص بالمسيح في الإصحاح ٢: ٦–٢٣. ورابعاً، سمو الحياة المسيحية في ٣: ١ وحتى ٤: ٦. سوف نستعرض باختصار كلَّ واحدٍ من هذه التقسيمات. بدءاً بالتقسيم الأول الذي يركّز على سمو المسيح نفسهُ.

سمو المسيح

كان المعلمون الكذبة يحاولون إقناع كنيسة كولوسي بعبادة القوات الروحية والكونية. وكانوا يشجعون على الزهد في الحياة، معتقدين أنَّ خشونة حياةٍ كهذا، كفيلٌ بأن يرضي القوات الروحية، وأن يجني بعض الفائدة من الآلهة الزائفة. ولذا، بدأ بولس بدحض هذه الهرطقات بإظهار التباين ما بين هذه الآلهة الخادعة وبين يسوع المسيح.

من جهة، أكّد بولس على أنَّ يسوع هو ملك الخليقة كلها، ويمتلك السلطان والكمال كلّه. ومن جهة أخرى، يعلِّم بولس أنَّ أركان العالم الأساسية غير قادرة على إعطائنا بركات الخلاص، وهي غير جديرة بالإجلال والاحترام.

عدّد بولس أوجه كثيرة لسمو المسيح في كولوسي ١: ١٥–٢٠، ومعظم هذه التفاصيل يتعارض مع تعاليم كولوسي الزائفة. ومن جملة التفاصيل التي أبرزها هنا، أنه تكلَّم عن المسيح بصفته صورة الله، في كولوسي ١: ١٥؛ وبكر كل خليقة، أيضاً في كولوسي ١: ١٥؛ وفيه خُلق الكل، في كولوسي ١: ١٦؛ ومتقدماً في كل شيء، في كولوسي ١: ١٨؛ والإله المتجسِّد، في كولوسي ١: ١٩؛ والمُصالح الوحيد، في كولوسي ١: ٢٠.

استهلَّ بولس كلامه بالقول إنَّ المسيح هو صورة الله غير المنظور. وضع هذا الوصف المسيح في تباين مطلق مع آلهة المعلمين الكذبة. فلنستمع إلى وصف بولس ليسوع في كولوسي ١: ١٥–١٦:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ ... الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.
(كولوسي ١: ١٥–١٦)

مع أنَّ الأسفار المقدسة تتكلم في عدة مواضع عن الكائنات البشرية بوصفها صورة الله، فإن ما قصد بولس قوله عن يسوع كان فريداً، وهو مرتبط بقدرته وسلطانه على الخليقة. إنَّ ما يفكر فيه هو كيفية استخدام المعلمين الكذبة لتعبير "صورة الله" كما نقلوه من الفلسفة اليونانية.

كانت بعض الفلسفات اليونانية في زمن بولس تقول، إنَّ الكون نفسه على صورة الله، أيّ إنه كان الإعلان العظيم للّه، وأنه بالإمكان الحصول على المعرفة والحكمة من خلال هذا الإعلان. نجد ذكراً لهذه الفكرة في مؤلفات قديمة من القرن الرابع ق. م.، مثل "ثيماوس" للفيلسوف أفلاطون (الأفلاطوني)، وكذلك في كتابات الغنوسيين حول الإله هرميز التي ترجع إلى القرن الثاني والثالث بعد الميلاد.

وهكذا، في حين نظر المعلمون الكذبة إلى الكواكب والعناصر على أنها صورة الله، أشار بولس إلى المسيح بصفته صورة الله. وقد تبنّى هذا المعنى الفلسفي اليوناني لعبارة "صورة الله" لكي يبيِّن أنَّ المسيح، وليس الشياطين الذين يعبدهم المعلمون الكذبة، كان الإعلان النهائي عن الله. أي الشخص الذي ينبغي على المؤمنين أن ينظروا إليه طلباً للحكمة والمعرفة من الله.

ثانياً، ذكر بولس أنَّ المسيح هو بكر كل خليقة. مرة ثانية يختار بولس كلماته بعناية ليدحض مزاعم المعلمين الكذبة. فلنستمع ثانية إلى ما كتبه حول المسيح في كولوسي ١: ١٥–١٦:

الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ ... الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.
(كولوسي ١: ١٥–١٦)

العبارة اليونانية "*prōtotokos*"، والتي تُرجمت هنا "بكر،" غالباً ما تشير إلى التفوّق والسلطة وليس إلى الترتيب عند الولادة. في العالم القديم، لم يكنْ بكر الأسرة هو بالضرورة مَن وُلد أولاً، بل بالأحرى، كان البكر هو مَن له الحقوق الكبرى في الميراث. كان كما هو معهود، هو مَن يرأس العائلة بعد وفاة والده. على سبيل المثال، كان الذكر الأكبر يُعتبر "البكر" حتى ولو كان له أخوات أكبر. وعلى هذا، كان بمستطاع الابن الذكر الأصغر أن يصبح البكر إذا ما أُنزل الابن الأكبر من رتبته لسببٍ من الأسباب.

ينبغي أن نشير الآن إلى أنَّ بعض البدع المعروفة فهمت خطأً عبارة "بكر" بأنها تشير إلى

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أنَّ المسيح كان "مولوداً" في الواقع قبل خلق العالم. لأنهم يعتقدون أنَّ المسيح قد كان دائماً مخلوقاً ما، وهو بالتالي ليس مساوياً لله ألآب في القدرة والسلطان. ولكن بولس ربط بين مكانة المسيح باعتباره "بكر" وبين السلطان والسمو على كافة المخلوقات، ولم يقلْ شيئاً عن الزمن الذي لم يكن يسوع قد وُجد فيه بعد.

عندما قال بولس إنَّ المسيح هو بكر كلّ خليقة، فقد عنى أنَّ المسيح كان مَن امتلك حقّ الولادة (حق البكورية) من ألآب، ولم يقصد أنَّ المسيح قد وُلِد أو خُلق قبل كل شيء. هو لم يقصد القول أنَّ المسيح كان جزءاً من الخليقة، بل أنَّ المسيح هو سيد الخليقة. بإفصاحه عمَّا في نفسه بهذه الطريقة، أوضح بولس أنَّ آلهة المعلمين الكذبة ليس لها القدرة والسلطان لإعطاء أي بركة لأي إنسان. المسيح، والمسيح وحده كان البكر، هو الذي ورث جميع بركات الله، وهو وحده القادر أن يهبها للآخرين.

ثالثاً، قال بولس أنَّ المسيح "فِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ"، أي هو أداة الخلق، وبه خَلَق الله الكون. غالباً ما ينسب اليهود الصوفيون إلى الملائكة أدواراً بارزة في الخلق –أدواراً يرجعها الكتاب المقدس إلى الله وإلى المسيح، ولكن ليس إلى الملائكة. في الفلسفة اليونانية، كانت تُنسب لقوى العناصر والأجسام الروحية أدوار مماثلة. ولكن بولس أكّد على أنَّ المسيح كان العامل الوحيد بالخَلق، وأنَّ هذه القوى الأخرى هي أدنى منه وخاضعة له. فلنستمع إلى ما كتبه في كولوسي ١: ١٦:

فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. (كولوسي ١: ١٦)

كما سبق وأن رأينا، فإن العبارات رياسات وسلاطين تشير إلى القوات الروحية، مثل الشياطين التي يعبدها المعلمون الكذبة. وبحسب بولس، فإن هذه الرياسات والسلاطين هي جميعها خاضعة للمسيح. إنَّ أولوية المسيح كأداة الخلق، يجعله أسمى الخلائق.

رابعاً، المسيح هو المتقدِّم في كل شيء لأن الله أوكله الخليقة وجعله رأساً للكنيسة. فلنستمع إلى كلمات بولس في كولوسي ١: ١٨:

وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. (كولوسي ١: ١٨)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

يقول بولس في مناقشته، إنه قد أُعطيت للمسيح مكانة مميَّزة في الكنيسة وبين الأموات "لكي يكون هو الأعلى في كل شيء." أيّ ما معناه، أنَّ الله قد نسّق عناصر الخليقة وتحكّم فيها كما فعل لغرضٍ محدَّد، وهو أن يجعل المسيح الأعلى في كل شيء. ما ينشده ألآب هو تبجيل ابنه وإكرامه، وأن يكون سيداً أعلى على الجميع. ولهذا، فإن أي نظام يسعى إلى إزاحة أو تعديل سلطان المسيح الأوحد لا بدَّ أن يكون باطلاً.

خامساً، شرح بولس أنَّ المسيح هو الله المتجسّد. هذا التصريح الرائع والعجيب يفوق أي زعمٍ حول ما يسمّى برياساتٍ أو سلاطين الوثنية اليونانية والصوفية الباطنية اليهودية. فلنستمع إلى ما يقوله بولس في كولوسي ١ :١٩:

لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ. (كولوسي ١: ١٩)

كل ملء الله حلَّ في المسيح، جاعلاً المسيح تجسيداً للعليّ.

الرياسات والسلاطين التي عبدها المعلمون الكذبة في كولوسي كانت أدنى الكائنات الروحية. ومع أنَّ الفلاسفة اليونانيين كانوا يدعونهم في بعض الأحيان أرباباً، إلاّ أنهم بشكل عام لم يكونوا يرون فيهم سمو الآلهة.

خلاف ذلك، فقد حلَّ ملء الله في يسوع المسيح. وهو يعني أنَّ المسيح هو الله المتجسد خالق الكون، هو الذي يجب على الجميع إطاعته بصفته إله. وهذا ما يجعل المسيح يفوق بكثير الكائنات الروحية الأدنى والتي يعبدها المعلمون الكذبة.

أخيراً، تكلم بولس عن المسيح بصفته المصلح الأوحد ما بين الله والإنسان. شرح بولس هذه الحقيقة حول المسيح في كولوسي ١: ١٩-٢٠:

لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ... وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. (كولوسي ١: ١٩-٢٠)

خَطَّط الله بواسطة يسوع لـ"يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ"، ذلك لأن يسوع هو الأداة والواسطة التي من خلالها ينقّي الله العالم من الذنوب، ويُحلُّ السلام مع البشر.

كان الشياطين هم القوى الضعيفة التي عبدها المعلمون الكذبة، والتي كان همها سرقة مجد وسلطان المسيح واستخدامه للتحكُّم بالمتعبدين لها. كانت أهدافهم دنيئة، وتعوزهم القدرة على مباركة

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المتعبّدين لهم بطريقة ذات معنى. ولكن المسيح كان هو السبيل إلى الله. وكلمة الإنجيل التي بشّر بها بولس كانت تقول إنَّ الله يعيد الخليقة كلها خالية من الخطية إلى حالتها الأصلية الأبدية الأولى. وكان يقوم بهذا العمل بواسطة يسوع المسيح، وفقط من خلال يسوع المسيح. بواسطة يسوع وحده، يمكن للذنوب أن تُغتفر ولفضل الله أن يُكتسب. لم تكن ثمة حاجة للاهتمام بأرواح المعلمين الكذبة الدنيئة والعاجزة. كان الطريق إلى الله وبركاته الأبدية متاحاً بحرية بيسوع.

من الستة أوجه هذه على الأقل – المسيح كصورة الله، بكر كل خليقة، أداة الخليقة، المتقدِّم في كل شيء، اللّه المتجسّد، والمصلح الأوحد –المسيح هو متعالٍ على كل ما يسمَّى بالأرباب التي يعبدها المعلمون الكذبة في كولوسي.

سمو عمل المسيح

بعد أن بيّن بولس سمو المسيح على القوى الروحية، أصرَّ على سمو خدَّام المسيح. هذا القسم من حجّته يظهر في كولوسي ١: ٢١–٢: ٥.

كانت حجة بولس أنه، بما أنَّ المسيح كان يفوق ويتعالى على الآلهة المزيفة، فإن خدَّام المسيح كانوا أعلى منزلة من أولئك الذين يخدمون الآلهة المزيفة. تتألف حجة بولس من خمس أفكار رئيسة: المصالحة التي تمّت بواسطة الإنجيل المسيحي، والتي ذكرها في كولوسي ١: ٢١–٢٣، وفي ٢: ٥؛ وإيثار بولس في كولوسي ١: ٢٤؛ ومهمة بولس الإلهية في كولوسي ١: ٢٥؛ والإعلان الذي لا مثيل له بواسطة الإنجيل، في كولوسي ١: ٢٥–٢٨، وفي ٢: ٢–٤؛ وتفويض خدّام المسيح، الذي تكلم عنه بولس في كولوسي ١: ٢٩–٢: ١. بدأ بولس بالتركيز على المصالحة التي كان أهل كولوسي قد اختبروها من خلال الإنجيل. وكما نقرأ في كولوسي ١: ٢١–٢٣:

> **قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ ... فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ، ... رَجَاءِ الإِنْجِيلِ، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ، ... الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ. (كولوسي ١: ٢١–٢٣)**

إنَّ خدَّام المسيح أعلى منزلة لأنهم يكرزون بالإنجيل الذي يصالح، في واقع الأمر، المؤمنين مع الله. شجع المعلمون الكذبة الناس في كولوسي على استرضاء الشياطين، وربما عرضوا إجراء المصالحة مع الله. ولكن في حقيقة الأمر، أنه لم يكنْ ثمة إمكانية مصالحة بالنسبة لهم، لأن ما

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

يسمى إنجيلهم لم تكنْ لديه القدرة أن يخلِّص.

بالمقابل، كان المؤمنون في كولوسي قد اختبروا المصالحة الحقيقية التي تأتي بواسطة الإنجيل الحقّ والذي يكرز به خدَّام الله. فقد كانوا مبرَّرين، يقفون أمام الله لابسين برِّ المسيح. وهذا ما ينبغي أن يكون قد شجَّعهم على الوثوق بكلمة بولس ونبذ المعلمين الكذبة.

ثانياً، أشار بولس إلى إيثاره، متكلماً عن معاناته لأجل الكنيسة. كما كتب في كولوسي ١: ٢٤:

وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي. (كولوسي ١: ٢٤)

كما رأينا في درسٍ سابق، أفادت معاناة بولس الكنيسة وذلك بأن هيأت لها شاهداً قوياً للإنجيل، يشجّع الكنيسة، ويكمّل شدائد المسيح. بالمقابل، فإن المعلمين الكذبة في كولوسي لم يُسجنوا ولم يضطهدوا أبداً. بتسليطه الضوء على استعداده لتحمّل الآلام لأجل الكنيسة، أوضح بولس أنَّ خدَّام المسيح هم أكثر إيثاراً للآخرين، من المعلمين الكذبة.

ثالثاً، تكلَّم بولس عن المأمورية الإلهية. على النقيض من الذين نصّبوا أنفسهم كمعلمين كذبة في كولوسي، فإن مَن كان قد عيَّن بولس رسولاً، هو الربّ بذاته. وصف بولس مأموريته في كولوسي ١: ٢٥:

الَّتِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهَا [الكنيسة]، حَسَبَ تَدْبِيرِ اللهِ الْمُعْطَى لِي لأَجْلِكُمْ، لِتَتْمِيمِ كَلِمَةِ اللهِ. (كولوسي ١: ٢٥)

كما نرى هنا، فإن الله ذاته هو من دعى بولس كرسول. خلال فترة شبابه، كان بولس مُضطهداً متحمّسا غيوراً للكنيسة. ولكن على إثر ذلك، ظهر له الرب يسوع القائم من الأموات وحوّله إلى المسيحية. في ذلك الحين، يسوع أيضاً عيَّن بولس رسولاً له، وأعطاه السلطان ليتكلم باسمه، أي ما معناه أنَّ سلطة بولس كانت أعلى بكثير من سلطة المعلمين الكذبة. يصف بولس تعاليمهم في كولوسي ٢: ٨، حيث كتب:

اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. (كولوسي ٢: ٨)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

استند المعلمون الكذبة على أفكارٍ ومعتقداتٍ ابتدعتها كائنات بشرية تعبد الأوثان. خلافاً لبولس، لم يخوّلهم الله لأن يتكلموا باسمه، ولم يدعوهم للقيام بتعليم المؤمنين في الكنيسة.

رابعاً، الوحي الذي حصل عليه بولس كان يفوق ذلك الذي صادق عليه المعلمون الكذبة. فلنستمع مثلاً إلى كلمات بولس في كولوسي ٢: ٤:

وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق. (كولوسي ٢: ٤)

وصف بولس كلمات المعلمين الكذبة بأنها "خادعة." وبالمقابل، فإن كلماته أعلنت الحقيقة، مُعينةً المؤمنين على تجنّب خداع المعلمين الكذبة.

في الواقع، وحسب غلاطية ١: ١٥–١٨، فإن بولس قد أمضى ثلاث سنوات في الصحراء العربية وفي دمشق يتلقَّى الوحي من الله. لكن المعلمين الكذبة استندوا على التقليد الذي وصل إليهم بأيدي بشرية. وهذا ما جعل الوحي الذي تلقّاه بولس أعظم بكثير من تعاليم المعلمين الكذبة.

إذاً، إنَّ تلقّي بولس لوَحيهِ من الله، كان له مغزى كبير، فهذا الوحي لم يكنْ مجرد ابتداع بشري كتعاليم هراطقة كولوسي. ولكن ما هو أعظم شأناً حتى، أنَّ مضمون الوحي الذي تلقاه بولس كان أعظم من تعاليم المعلمين الكذبة. في رسالته إلى كنيسة كولوسي، يصف بولس وَحيَه أنه "سرّ" أعلنه الله له، وأنه "كنز الحكمة والمعرفة."

ولم يحتفظ بولس بهذه الكنوز لنفسه – فقد كانت هذه الكنوز، الإنجيل نفسه الذي يكرز به. وكانت أيضاً الحقائق المتعلقة بالمصالحة مع الله ومشاركته في ملكوته، على أساس تضحية المسيح التي تُقبَل بالإيمان. هذا الإعلان كان أفضل من أي شيء قدّمه المعلمون الكذبة.

خامساً، كتب بولس عن عظمة تمكين خدَّام المسيح، متكلماً عن أنَّ الله أعطى القوّة والسلطة لخدَّامه. لم يخدم بولس بقوته الشخصية بل بالأحرى، وهبه الله القوة والدافع ليعمل ويتألم كرسول له. أغدق الروح القدس على بولس مواهب مدهشة، متيحاً له الكلمات ليتكلم، والفرص ليتفوَّه بها، ومعجزات لتؤكد صحة شهادته، وكل هذا، لكي يجعل بولس مملكة الله تتقدم وتنتشر في الأرض. كما كتب بولس في كولوسي ١: ٢٩:

الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ. (كولوسي ١: ٢٩)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

جاءت سلطة بولس، وكلماته وقوته من الله نفسه. ولم يكنْ باستطاعة المعلمين الكذبة مضاهاة نفسهم به. إنَّ خدمتهم ورسالتهم مجرّدة من القوة ولا قيمة لها من ناحية المعنى.

بالاختصار، نحن نرى أنَّ بولس شدَّد على تفوّق خدّام المسيح، بكتابته عن المصالحة التي تمَّت بواسطة الإنجيل المسيحي، وعن إيثارهم الآخرين على أنفسهم، وعن الوحي الذي تلقّوه، وتقوية الروح القدس لهم.

سمو الخلاص في المسيح

ثالثاً، بعد أن أبرز بولس سمو المسيح وخدّامه، ألحَّ على عظمة الخلاص في المسيح في ٢: ٦ – ٢٣. تنقسم مناقشة بولس لعظمة الخلاص بالمسيح إلى جزئين: تسبيحه وحمده لأجل الحياة في اتّحاد بالمسيح في كولوسي ٢: ٦–١٥، وإدانته للحياة تحت نير العناصر في كولوسي ٢: ١٦–٢٣.

في الجزء الأول، يصف بولس بضع فوائد للخلاص الذي يتمّ باتحادنا بالمسيح، بدءاً بأوجه الإحسان والقوة في سيادة المسيح، في كولوسي ٢: ٦–١٠.

في هذه الآيات، يبيّن بولس أنه بسبب كون المسيح ربنا، فإننا مبنيون ومتقوون فيه، وبالتالي نكنُّ له الشكر العظيم. إنَّ الذين تبعوا المعلمين الكذبة كانوا أسرى القوى الروحية الدنيئة التي عبدوها، ولكن أولئك الذين تحت سيادة المسيح قد أُعطوا السلطان ليحكموا معه. كما كتب بولس في كولوسي ٢: ٩–١٠:

فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ. (كولوسي ٢: ٩–١٠)

يمتلك المسيح سلطاناً إلهياً على كلّ القوى الأخرى. ولأن المؤمنين قد اتّحدوا بالمسيح، فإنهم يشاركونه سلطانه الإلهي ذاك.

ثانياً، يذكر بولس أيضاً الحيوية الروحية التي كانت عند المؤمنين، لأننا في اتّحادٍ بالمسيح. ويشرح بولس هذه البركة في كولوسي ٢: ١١–١٣. مثال على ذلك، في كولوسي ٢: ١٢ كتب:

مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. (كولوسي ٢: ١٢)

لأننا كمؤمنين متحدون بالمسيح، لا نشترك في موت المسيح، وما نتج عنه من غفران ذنوبنا فحسب، بل نشارك أيضاً في حياة المسيح وقيامته، التي جعلت أرواحنا تولد من جديد.

ثالثاً، لأننا كمؤمنين اتّحدنا بالمسيح، فإننا نحصل على غفران ذنوبنا، ونُعفى من استحقاقات الخلاص من خلال فرائض الناموس. عبَّر بولس عن هذه الأفكار في كولوسي ٢: ١٣–١٥. وكما كتب في كولوسي ٢: ١٣–١٤:

مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، ... مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ (كولوسي ٢: ١٣–١٤)

يحكم الناموس على الجنس البشري الذي سقط، بالهلاك. ولكن لأننا متحدون بالمسيح في موته، فنحن قد متنا الموت الذي يفرضه الناموس. ونحن قد قضينا محكوميتنا، بحيث أصبحنا الآن أحراراً من كل دينونة.

وبمقابل هذه الخلفية من البركات في المسيح، أدان بولس رسالة المعلمين الكذبة في كولوسي. تتّصف الحياة التي في اتحاد بالمسيح ببركات سيادة المسيح. ولكنَّ الحياة الخاضعة للعناصر، تضع الإنسان تحت سيادة الإنسان المستبدّة. كما كتب بولس في كولوسي ٢: ١٦–١٨، فإن هذا لا يؤدي فقط إلى إدانة الإنسان، بل إلى فقدان البركات التي يعطينا إياها المسيح أيضاً.

وأبعد من ذلك، في حين أنَّ الاتحاد بالمسيح يُولِّد الحيوية الروحية، فإن الخضوع للعناصر يؤدي إلى انفصالنا عن المسيح. كما أشار بولس في ٢: ١٩، فإن هذا يؤدي إلى ضعفٍ روحي وليس إلى قوة، وإلى كبت النمو الروحي.

أخيراً، بينما يتضمن الاتحاد بالمسيح المغفرة ويعتقنا من دينونة الناموس، فإن الوقوع تحت سيطرة العناصر يؤدي فقط إلى الزهد. علَّق بولس على عدم جدوى مثل هذا الزهد، في كولوسي ٢: ٢٣، بقوله:

الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ. (كولوسي ٢: ٢٣)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أنَّ الخضوع لسيطرة آلهة المعلمين الهراطقة الزائفة في كولوسي أدّت إلى حياة قاسية خشنة، كانت بلا فائدة في مواجهة الخطيئة. ومع أنَّ مثل هذه الحياة كان من المفترض أن تستجلب النعم والبركات، فإن الشياطين ليس لهم القدرة على مباركة أحد. وعلى النقيض من ذلك، فإن الاتحاد بالمسيح يأتينا بالأحرى بالحرية بدل الخضوع للسيطرة، ومدمّراً حقاً سلطة الخطيئة على المؤمن.

من خلال هذه المظاهر المتضاربة للحياة في اتّحادٍ بالمسيح والحياة تحت سيطرة العناصر، بيَّن بولس أنَّ الخلاص الذي يقدِّمه الإنجيل المسيحي الصحيح، أفضل بكثيرٍ من هكذا بركات يفهم من فحواها أنها مقدمة من المعلمين الكذبة في كولوسي.

سمو الحياة المسيحية

أخيراً، بعد أن تكلّم عن عظمة وسمو المسيح وخدّامه، وعن الخلاص المُعطى بإنجيل المسيح، انتقل بولس إلى الحديث عن سمو الحياة المسيحية في كولوسي ٣: ١-٤: ٦. في هذا القسم، يقدم بولس الدليل على أنَّ نمط الحياة المسيحية أكثر أخلاقية بكثير من نمط الحياة التي يدعو إليها المعلمون الكذبة.

يبدو أنَّ المعلمين الكذبة في كولوسي قد كانوا مهتمين بالحياة الأخلاقية. ومع كل ذلك، فإن هدف معيشتهم القاسية والخشنة، كان لتجنُّب الملذّات الجسدية. وفي بعض المجالات، فإن هذه المعايير أو الأهداف يمكن أن تكون متوافقة مع مثيلتها في الكنيسة المسيحية حول هذه الأنواع من الذنوب.

ولكن كانت ثمة مشكلة في مقاربتهم تلك. بكل بساطة، إنَّ الزهد في الحياة لم يكنْ يُجدي. إنَّ واقع المسألة هو أنَّ الكائنات البشرية تنقصها قوة الإرادة لمقاومة الخطيئة. ولهذا، مهما جاهدنا لتجنّب الخطيئة، فدائماً نخسر. وهذا يعني، أننا لكي نسلك حياة أخلاقية، ولكي نطيع المعايير الأخلاقية التي وضعها الله لنا، علينا أن نستند على أشياء أكبر وأكثر قوة من ذواتنا.

بشكلٍ ما، كانت تعاليم بولس عن الحياة المسيحية، تشبه تعاليم المعلمين الكذبة. في الواقع، ذهب بولس بعيداً إلى حدِّ القول إنه كان من الصواب التركيز على ما هو روحي وسماوي وليس على ما هو أرضي. فلنستمع إلى كلماته في ٣: ٢:

اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ (كولوسي ٣: ٢)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

بحسب بولس، علينا أن نقدِّر الأمور الروحية والسماوية أكثر ممَّا نقدّر الأمور الأرضية. وهو يتشارك أيضاً في هذا المنظور مع المعلمين الكذبة، ظاهرياً على الأقل. وكالمعلمين الهراطقة أيضاً، شدّد بولس بقوة في تعليمه على نبذ الملذات الجسدية. على سبيل المثال، في كولوسي ٣: ٥، كتب قائلاً:

فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ. (كولوسي ٣: ٢)

اتّفق بولس مع المعلمين الكذبة على أنَّ الملذات الجسدية هي شرّ. ولكنه لم يتّفق معهم حول طريقة تجنّب أمثال هذه الخطيئة.

اختلف بولس مع المعلمين الكذبة أيضاً في عدة نواحي أخرى. مثلاً، مع أنَّ المعلمين الكذبة كانوا يؤمنون ظاهرياً بأنهم يجب أن يركّزوا على الأمور السماوية، فإن تعاليمهم التي انتقدها بولس، كانت بالأحرى جميعها أرضية. رغم أنَّ هدفهم قد يكون روحياً، إلاَّ أنهم حاولوا الوصول إلى هذا الهدف من خلال التركيز على الأمور الأرضية. في كولوسي ٢: ٢١، يوجز لنا بولس تعاليمهم بكونها:

لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ! (كولوسي ٢: ٢١)

ومع أنَّ الذين يتبعون مذهب الزهد في الدنيا ادّعوا أنهم إنما يشيرون إلى المملكة الروحية، فإن تعاليمهم ركّزت على الأمور الدنيوية والأرضية.

يبدو أنَّ دعاة الزهد قد كانوا منشغلين جداً في ممارساتهم الصوفية بحيث أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء إبراز المثاليات التي كانت حقاً سماوية وروحية. ومع أنَّ هدفهم يمكن أنه كان روحياً، إلاَّ أنَّ كل جهودهم قد انصبَّت على الأمور الأرضية.

علّم بولس من جهة أخرى، طرقاً محدّدة تساعد المؤمنين على بذل الجهد والتركيز على الأشياء ذات الاتجاهات الروحية. وشدّد على أن يكفّوا عن خطاياهم الأرضية، ولكنه علم أيضاً أنَّ هذا كان مستحيلاً، من منظور بشري. فلنستمع إلى كلماته في كولوسي ٣: ٩–١١:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

إِذْ خَلَعْتُمُ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ، ... الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ. (كولوسي ٣: ٩-١١)

شرح بولس أنَّ مفتاح السلوك للحياة الأخلاقية هو هذا: المؤمنون متّحدون بالمسيح– المسيح في الكلّ. وبسبب هذا الاتحاد بالمسيح، أصبحت لدينا "نفوس جديدة" أو "طبائع جديدة" والله يجدّدنا من الداخل باستمرار. هذا الاتحاد والتجدّد يجعلنا قادرين على أن نحيا بطريقةٍ أخلاقية.

لم يكنْ المعلمون الكذبة مؤمنين حقيقيين. ولم يؤمنوا بالإنجيل، ولهذا، فلم يكونوا متّحدين بالمسيح. ولم تكنْ لديهم طبائع جديدة، ولم يكونوا مُجدّدين من الله. ونتيجةً لهذا فإن كل محاولاتهم لتجنّب الخطيئة، كانت محكومة بالفشل.

المؤمنون، مع ذلك، متّحدون بالمسيح، ولهذا فنحن أُعطينا القوة لنطيع معايير الله الأخلاقية. ولكن بولس لم يتوقف عند هذه الفكرة، فقد سارع، إلى تقديم بعض الحلول العملية بحيث يتمكن المؤمنون من الاعتماد على قدرة الله للتغلب على الخطيئة بدل اعتمادهم على قوة إرادتهم. فلنستمع إلى إرشاداته في كولوسي ٣: ١٢:

فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ. (كولوسي ٣: ١٢)

يشير بولس إلى أنَّ المؤمنين يستطيعون أن ينجحوا في سلوك حياة أخلاقية، بتركيزهم على الفضائل الروحية والسماوية، كالرأفة والرقّة والحنان، بدل تركيزهم على الخطايا التي نحاول تجنبها. ويمكن أن يحملنا تركيزنا على محبة الله واختياره لنا، على أن نعيش حياة أخلاقية بدل أن تنصبّ جهودنا على استرضاء خواطر الآلهة الزائفة.

إنَّ الخطّة التي وضعها بولس للحياة الأخلاقية كانت متفوقةً على مثيلتها التي فرضها المعلمون الكذبة، في ناحيتين هامتين جداً. أولاً، كانت خطّة بولس فاعلة لأنها استندت على قوة الله وليس على قوة الإنسان. ثانياً، كانت فاعلة لأنها لم تركّز على الخطيئة والأمور الأرضية، بل ركّزت على الفضائل الإيجابية والقيم الروحية. والأهم من ذلك كله هو أنَّ خطة وتدبير بولس قد أثمرا. خلافاً للممارسات الصوفية والتي هي لا قيمة لها في مواجهة الخطيئة، فإن طريقة بولس في الحقيقة، جعلت الحياة الأخلاقية ممكنة.

كانت رسالة بولس إلى أهل كولوسي موجّهة لمناقشة موضوع هرطقة عبادة الأوثان التي

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أدخلها المعلمون الكذبة. حضّ هؤلاء على الأساليب الوثنية باعتمادهم على القوى الروحية، وبطرق غير مجدية في اتّباع السلوك المستقيم. وكردٍّ على هذه المشاكل، كرز بولس بالمسيح. كرز بعظمة وسمو المسيح كربٍّ وكملك، وبتفوّق خدّام المسيح. وكرز بالخلاص، الذي ليس له مثيل، بالمسيح، وبالانتصار على الخطيئة من خلال الحياة المسيحية. أوضح عند كل نقطة، أنَّ ما وعد به المعلمون الكذبة، وحده المسيح قادر أن يعطيه.

التطبيق المعاصر

الآن وقد استكشفنا خلفية رسالة بولس إلى أهل كولوسي، وبنية ومضمون هذه الرسالة، سوف ننتقل إلى موضوعنا الثالث: التطبيق العصري لرسالة بولس إلى أهل كولوسي. كيف نستطيع كمسيحيين عصريين، تطبيق هذه التعاليم القديمة على حياتنا؟

مع أنَّ هنالك عدة طرق يمكن أن نطبّق فيها، بشكل صحيح، تعاليم بولس على حياتنا العصرية، إلاَّ أننا سوف نركّز على نوعين من التطبيقات الأكثر ارتباطاً ببولس وجمهوره الأصلي: ضرورة البقاء أوفياء للمسيح وحده؛ وقيمة التركيز على المسائل الروحية يومياً. فلنبدأ بالنظر إلى أهمية البقاء أوفياء للمسيح وحده.

الولاء للمسيح

كان ثمة تشجيع للمؤمنين في كنيسة كولوسي لخلط عبادتهم للمسيح، مع عبادة القوى الروحية الأخرى. ومع أنَّ هذه القوى لم تكنْ تقدَّم إليهم على أنها شياطين، فقد رأينا أنَّ أية قدرة كانت في الواقع تمتلكها هذه القوى، وأية منافع يحصل عليها من يتعبّد إليها هي شيطانية. ولكن سواء كانت هذه القوى شياطين أو عناصر أو ملائكة، فلم يكنْ على أهل كولوسي أن يعبدوها. وللأسف، فإن المناخ الاجتماعي في القرن الأول جعل من الصعب على أهل كولوسي أن يروا حقيقة الأمر.

خلال القرن الأول الميلادي، كان الشرْك بالله هو السائد في الإمبراطورية الرومانية ذلك لأن معظم الناس كانوا يؤمنون بوجود آلهة وقوى روحية متعددة. وكانت معظم المجتمعات داخل الإمبراطورية لا تعترف بوجود آلهة متعددة فحسب، بل كانت تعبد عدة آلهة أيضاً. بالنسبة لغالبية الناس في الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت، كان من الطبيعي عبادة الآلهة المسيطرة في

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

طقوس العبادة المدنية، مثل زيوس، وكذلك الآلهة المحلية وحتى الآلهة المنزلية. لذا، مع أنَّ المسيح طلب من المؤمنين ألاّ يعبدوا سواه، إلاّ أنه كان هناك ضغط اجتماعي كبير يدفع المسيحيين الأوائل إلى عبادة آلهة أخرى كذلك.

في الواقع، عندما بدأت الإمبراطورية الرومانية في اضطهاد المسيحيين خلال القرن الأول الميلادي، فقد كان ذلك إلى حدٍّ بعيد بسبب رفض المسيحيين الاعتراف وعبادة آلهة البدع المدنية. وقد زعموا أنَّ المسيحيين قد أثاروا غضب الآلهة برفضهم عبادتهم، وأنَّ الآلهة سوف تعاقب المجتمع الروماني بأسره إن لم ينلْ المسيحيون جزاءهم. لم يطلب الرومان أن يكف المسيحيون عن عبادة المسيح، بل كان مطلبهم فقط أن يعبدوا الآلهة الرومانية أيضاً.

من المنظور الروماني في القرن الأول الميلادي، فقد كان بإمكان المرء أن يعبد عدة آلهة دون إيّ إحساس بتعارض الولاء. ولكن المسيح يطلب العبادة الحصرية. إذا كنّا نعبد المسيح، فلا نستطيع أن نعبد سواه. ولهذا أكَّد بولس على أن يظلّ أهل كولوسي راسخين في إيمانهم. كما كتب في كولوسي ١: ٢١–٢٣:

قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ، إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى الإِيمَانِ، مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ. (كولوسي ١: ٢١–٢٣)

إن لم نُبقِ على إخلاصنا للمسيح، فإننا نبرهن حينها أننا لم نتصالح حقاً مع الله. وإذا لم نكن متصالحين مع الله، فلن نشارك في الرجاء المُعطى في الإنجيل. بتعبير أبسط، إن لم نُبقِ على ولائنا للمسيح، فإننا لسنا مُخلَّصين. الولاء للمسيح هو غاية في الأهمية.

من المحزن أن يتحدّى عالمنا المعاصر بشكلٍ متكرِّر إخلاصنا وولاءنا للمسيح، وذلك بتقديمه لنا آلهة مختلفة لنعبدها. يتواجد الشرك بالله في الديانات الشرقية مثل: الطاوية وهي واحدة من ثلاث ديانات صينية تقليدية تجمع ما بين المعتقدات الصينية والبوذية؛ والهندوسية، الدين السائد في الهند؛ والشنتو، الدين التقليدي لليابان. وفي العالم الغربي، تبنَّت حركة العصر الجديد عدة جوانب من هذه الديانات الشرقية. وفوق هذا، يعلِّم المذهب المورموني أنَّ المورمون هم آلهة قيد الصنع. ثم هنالك أيضاً عدة فئاتٍ أصغر تمارس الشرك بالله، بدءاً من ديانات القبيلة والجماعة في أفريقيا وآسيا، وإلى مذهب Scientology في هوليود، كاليفورنيا. والقائمة مستمرة.

ولكن المسيحيين المعاصرين يواجهون أيضاً مشاكل إضافية، على سبيل المثال، فإن بعض

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المجتمعات والحكومات الحديثة تضطهد المسيحيين إذا حافظوا على ولائهم للمسيح وحده. ولهذا يبقى العديد من الكنائس في جمهورية الصين الشعبية في الخفاء. وفي بعض البلدان، تؤدي الاضطهادات التي تمارس ضد المسيحيين غالباً إلى العبودية أو حتى إلى الموت. ولكن مهما يمكن أن تكون شدة وهول هذه الاضطهادات، ومهما يمكن أن تضغط علينا لنبذ ربنا، فإننا يجب أن نبقى أوفياء لمسيحنا – حتّى الشهادة – لنكون متصالحين مع الله.

في مجتمعاتٍ حديثةٍ أخرى، يتعرَّض المسيحيون باستمرار لضغوط الإلحاد، بحيث يشجعهم على هجر كلَّ إيمانٍ باللّه وبالمسيح. غالباً ما يُستهزأ بالمسيحية كدين يتألف من مجموعة عقائد بربرية وبدائية لا تستطيع الصمود أمام التدقيق العلمي. لا يتمكن العديد من المؤمنين الذين ليس لهم إلمام كافٍ باللاهوت أو العلوم، من إيجاد أجوبة لهذه التحدِّيات، وبالتالي يهتزّ إيمانهم.

في حالات أخرى، إنَّ مبدأ النسبية في المجتمع العصري يؤدي إلى إصرار قويّ على التسامح الديني. وكنتيجة لذلك، فإن كل ادّعاء حصري بالحقيقة والخلاص يصبح محكوماً عليه. علّم بولس أنَّ الولاء للمسيح هو الطريق الوحيد للخلاص. ولكن حين يردّد المسيحيون العصريون هذه الفكرة، فإننا غالباً ما نُتَّهم بالغطرسة وعدم التسامح. وبالتالي نشعر بضغوط من المجتمع علينا للاعتراف بطرقٍ أخرى لإيجاد البركات والنعم الأبدية.

ولكن ليست جميع الضغوط تأتي من خارج الكنيسة. مثال على ذلك، في بعض الكنائس البروتستانتية المتحررة، يقدّم الحمد والتسبيح إلى الحكمة أو صوفيا، الآلهة الأنثى.

وتؤيد كنائس بروتستانتية متحرّرة أخرى مبدأ النسبية الذي ينتشر بين مجتمعاتهم، والتي تقول بأن عدّة أو حتى جميع الأديان هي سُبل صالحة للخلاص – حتى ولو أنهم أنكروا المسيح.

في الحقيقة، أنه أينما كان المكان الذي نعيش فيه، فمن المرجَّح أن نشعر بضغوط علينا للتنكر لولائنا للمسيح. قد تكون ضغوطاً للقبول بصحّة الأديان أو الآلهة الأخرى، أو ضغوطاً لنكران إله الكتاب المقدَّس. يمكن أن يكون مصدرها الحكومة، أو مدارسنا، أو جيراننا وأصدقاءنا، أو أُسرنا، أو حتى من قادة الكنيسة.

ولكن إذا أردنا أن نبقى أوفياء لتعاليم بولس، يجب أن نرفض هذه الأفكار المُضلَّة ولا نقبل سوى المسيح. المسيح وحده يستحق أن يُعبَد، وهو وحده الذي يعطي الخلاص الحقيقي والبركات الروحية. تماماً كما فعل بولس، يجب على المسيحيين العصريين أن يدينوا عبادة الكائنات الروحية ماعدا عبادة إله الكتاب المقدس، ويجب أن نؤكد أنَّ المسيح هو وحده من يقدر أن يصالحنا مع الله. حتى عندما تأتينا هذه التعاليم الكاذبة من أشخاصٍ نحبهم ونحترمهم، وحتى إذا كان أولئك

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الأشخاص قادة في كنائسنا – يجب أن نبقى راسخين في إخلاصنا وولائنا للمسيح وحده.

التركيز الروحي

الآن وقد رأينا أهمية بقائنا مخلصين للمسيح وحده، سوف ننتقل إلى نوعٍ ثانٍ من التطبيق الحديث: قيمة التركيز على المسائل الروحية كل يومٍ من أيام حياتنا. مع أنَّ الاهتمام بالأمور الأرضية له قيمته، فإن الفائدة التي نجنيها تكون أعظم حين نقارب الحياة من منظور روحي.

عندما نؤمن بالمسيح، تحدث أعجوبة: تتجدّد فينا أنفسنا. وقبل إيماننا، كنَّا أمواتاً من الداخل، غير قادرين على الاستجابة لله. وكنَّا أعداءً لله، ليس لأننا أخطأنا إليه واستحقيّنا دينونته فحسب، بل أيضاً لأننا كنَّا نكرهه ولم نخضع له.

ولكن الله يحبنا كثيراً إلى درجةٍ أنه يرفض السماح لنا بمعاداته، ولهذا، فهو يرسل الروح القدس ليجدّد نفوسنا، بحيث يرمّم داخلنا، فنتوب عن ذنوبنا ونخضع لربنا. وفي الوقت نفسه، يحلّ فينا روح الله، موحِّداً إيانا بالمسيح، ومؤمّناً لنا البركات الآتية فيه.

إنَّ خلاصنا لا يعتمد على سعينا الأرضي، بل على الواقع الروحي لأرواحنا المرمّمة وعلى اتّحادنا بالمسيح. ولهذا السبب حثَّ بولس أهل كولوسي على زيادة التركيز على الأمور الروحية، والإقلال من التركيز على المسائل الأرضية.

يصف اللاهوتيون غالباً أولئك الذين لم يؤمنوا بأنهم غير مجدّدين. وفي المقابل، فإن تعبير مجدّدون يطلق على المؤمنين. هذه التعابير تُعرِّف وتبيّن الحالة الروحية أو النفسية لكل شخص. فكون الإنسان غير مجدّد، يعني أن يكون ميتاً روحياً، وكونه مجدّداً، يعني كونه حيّاً روحياً.

أولئك الذين ليسوا مجدّدين هم تحت دينونة الله بسبب الخطيئة. ولأن ليس لديهم الإمكانيات الأخلاقية، فهم لا يستطيعون القيام بأمور يعتبرها الله أخلاقياً نقية. وفضلاً عن ذلك، فليس لديهم الرغبة الأخلاقية، ولهذا، فهم لا يريدون القيام بأمور يعتبرها الله أخلاقياً نقية. بالاختصار، من لم يتجددوا هم غير مخلَّصين، وليس بمقدورهم أن يخلّصوا أنفسهم، ولا يريدون أن يخلصهم الله.

من جهة أخرى، فإن المتجدّدين هم مغفورة خطاياهم لأنهم متّحدون بالمسيح، الذي مات لأجل خطيئتهم بحسب متطلبات شريعة الله. وأبعد من ذلك، فإن أرواحهم المتجددة تمتلك القدرة الأخلاقية، ولهذا، فهم قادرون على إطاعة الله، وكذلك تمتلك الرغبة الأخلاقية، بحيث يرغبون أيضاً في إطاعة الله.

من الصعب المغالاة في تقدير قيمة التغيير الروحي الذي يطرأ علينا عندما نؤمن. التجديد

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

يجعل منَّا أشخاصاً جُدد. فلم يُغفر لنا فحسب، بل أننا قد تغيرنا روحياً أيضاً. التجدّد هو التغيير الروحي الذي وصفه بولس في كولوسي ٢: ١٣، حيث كتب:

وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفَةِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا (كولوسي ٢: ١٣)

لقد كنّا أمواتاً في خطايانا، أي ما معناه، أننا كنّا تحت دينونة الله. ولكن الله من ثمَّ أحيانا وغفر لنا خطايانا. وقد كنّا أيضاً أمواتاً في طبيعتنا الخاطئة، أي أنه كانت لنا طبائع شريرة دون قدرة أو إرادة أخلاقية. ولكن ثانية، أحيانا الله. ونتيجة ذلك، أصبحنا نمتلك الآن القدرة على أن نرغب في القيام بأعمال صالحة وعلى أن نقوم بذلك.

إنَّ أرواحنا القديمة المعاندة لم تكن لديها لا الإمكانية ولا الإرادة. ولكن أرواحنا المتجددة تمتلك الإمكانية والإرادة أو الرغبة على السواء. عندما كنَّا أمواتاً روحياً، قبل أن نتجدّد ونتّحد بالمسيح الملك، كان من غير المجدي بالنسبة لنا أن نركّز على الأشياء الروحية، أو "بما فوق". حتى ولو أردنا ذلك. ولكن الآن وقد اهتدينا، فإن أكثر الأمور منطقية والتي علينا القيام بها هي التركيز على حياتنا الجديدة وفي اتجاه جديد. لقد خُلقت أرواحنا من جديد؛ فنحن الآن أناسٌ روحيون. وإنَّ أكثر الأشياء منطقية – وأكثرها طبيعية – وأكثر الأشياء فائدة لنا لنقوم بها كأناسٍ روحانيين – هي التركيز على حياتنا الروحية. وهكذا تابع بولس في كولوسي ٣: ١–٢ بكتابة هذه الوصايا:

فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ. (كولوسي ٣: ١–٢)

لأننا جالسون فوق مع المسيح، علينا أن نركّز أفكارنا على أمورٍ تنتمي إلى السماء. أصبحنا على اطّلاعٍ الآن ببُنية السلطة الحقيقية للكون؛ نعرف كيف يسير العالم، وما هي الأشياء التي تأتي بالبركات الحقيقية. وهذه المعرفة يجب أن تغيّر الطريقة التي نعيش بها حياتنا.

في بعض مراحل التاريخ، فهم المسيحيون خطأً أنَّ بولس حين تكلَّم عن التركيز على الأمور السماوية وليس على الأمور الأرضية والمادية، كان يعني أنه يجب الانسحاب من الحياة الإنسانية العادية في سبيل طلب السماء وحدها دون أن يصرفنا عنها شيء. والرهبان المتنسّكون في العصور الوسطى هم مثال جيد على هذا النوع من التفكير. كان البعض منهم يعيش كناسك، معتزلاً بقية

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الناس. والبعض الآخر كان يقيم في الكهوف أو فوق الأعمدة لفترة طويلة من الزمن. وآخرون كانوا يعذبون أجسادهم. كانوا يعتقدون بصدق أنَّ أفضل طريقة للنمو الروحي هي الهروب من تأثير العالم العادي واللاروحي. ولكنهم كانوا مخطئين. لقد وقعوا في الواقع، ومن بعض الوجوه، في الأخطاء نفسها التي وقع فيها المعلمون الكذبة في كولوسي.

المربّي الشهير بوكر ت. واشنطن، مؤسس المدرسة التي تدعى الآن باسم جامعة Tuskegee، هو مؤلف هذا المثل الأميركي: "لا يستطيع رجلٌ أن يمسك برجلٍ في حفرة دون أن يبقى هو معه فيها". في عدة نواحي، طبَّق واشنطن على العلاقات الإنسانية، ما علَّمه بولس حول الحياة الداخلية للمسيحيين.

معنى ذلك، إذا ركَّزنا كل طاقاتنا على قمع رغباتنا الأثيمة، نكون ما زلنا مركّزين على الرغبات الأثيمة. نعم، إنَّ قمع الإثم هو أمرٌ حسن، وحتى أنه عمل جيد. وقد حثَّ بولس المؤمنين على إماتة شهوات أجسادهم. ولكن ما يرمي إليه بولس ليس أننا يجب أن نتبنَّى ببساطة مقاربة جديدة للمسائل الأرضية؛ فقد قصد أيضاً أنه ينبغي أن نعيد تركيز اهتمامنا بعيداً عن الأمور الأرضية وعلى المسائل الروحية. ولكن الأمور "الروحية" أو "السماوية" التي قصدها بولس، تتطلَّب مشاركتنا في هذا العالم. فلنستمع إلى كلماته في كولوسي ٣: ١٢–١٦:

فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، ... وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا... كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ. لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنىً. (كولوسي ٣: ١٢–١٦)

إنَّ ما يقوله بولس هو أنَّ الأمور "السماوية" أو "الروحية" في الحياة هي تلك التي تعكس حال ملكوت الله كما يبدو في السماء. أو بأسلوبٍ آخر، الميول السماوية هي التركيز على من صعد إلى السماء، أي المسيح، لكي يمكننا أن نتشبّه به أكثر ونحن هنا على الأرض.

لنلاحظ نوع الأمور التي دعاها بولس "سماوية" أو "روحية". فمعظمها هو فضائل تفاعلية، أي فضائل يتمّ التعبير عنها أساساً، وفي بعض الحالات فقط، تجاه أشخاصٍ آخرين، مثل الرأفة، الحنان، التواضع، اللطف، الصبر، التسامح، المحبة، والسلام في سياق الجماعة. هذه الفضائل لا يمكن ممارستها بعيداً عن الحياة الفاعلة في عالم اليوم.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وبالفعل، في كولوسي ٣: ١٦-٤: ٦، شرح بولس طرقاً عديدة ومختلفة يستطيع المؤمنون أن يطبّقوا فيها هذه الفضائل، ضمن سياق علاقاتهم الأرضية المتعددة.

مثال على ذلك، فقد كتب أنه ينبغي على المؤمنين أن يعلّموا وينبّهوا بعضهم البعض بترتيلهم معاً، المزامير والترانيم والأغاني الروحية. وأمر النساء بأن يخضعن لأزواجهن، والأزواج بأن يحبّوا زوجاتهم. كما أوعز إلى الأولاد بإطاعة والديهم، وإلى الأهل تشجيع أبنائهم. وحضَّ العبيد على الطاعة والعمل المثمر. وأمر السادة أن يعاملوا العبيد كما يتعامل يسوع، الذي هو سيدنا جميعاً، مع الكنيسة. كما طلب الصلوات ليهبه الله القوة وهو يكرز بالإنجيل. وأوصى أهل كولوسي بأن يجتهدوا وبأن يكونوا حكماء عندما تحين أو تسنح الفرصة أمامهم للكرازة بالإنجيل.

إنَّ كلَّ هذه التعليمات والإرشادات تخصّ المسائل "الروحية" أو "السماوية". بيد أنه لا يمكن تنفيذها إلاَّ من خلال الانخراط الفعَّال في عالم اليوم.

بالنسبة لبولس، فإن الميل إلى الأمور الروحية والسماوية يعني إمعان التفكير في روعة السماء في هذه اللحظة بالذات، وإيجاد طرق لجعل العالم الحاضر أكثر شبهاً بالسماء. وهو يعني كذلك أن نركّز على طبائعنا الروحية الجديدة، وعلى ما يلائمها من أعمال صالحة. وهو يعني القيام بالأعمال الصالحة نفسها على الأرض كما في السماء. وهو يعني محبة الآخرين، ومسامحة الآخرين، والتعامل برقة ولطف وتواضع، ومعاملة الآخرين كما عاملهم يسوع. مختصر القول، لكي نركّز على الأمور الروحية، علينا أن نصبَّ اهتمامنا على إقامة ملكوت الله– هنا، الآن بالذات، وعلى هذه الأرض.

الخاتمة

لقد ألقينا في هذا الدرس نظرة عن قرب على الرسول بولس وشراكته مع المؤمنين في كولوسي. وقد استكشفنا خلفية رسالته إلى أهل كولوسي، وكذلك بنية ومحتوى هذه الرسالة. أخيراً، ناقشنا التطبيق العصري للتعاليم التي تلقاها أهل كولوسي من بولس.

تتضمن رسالة بولس إلى أهل كولوسي عدة دروس هامة بالنسبة لنا اليوم. فهي تعلمنا عن سمو المسيح وعظمته، والاحترام والتقدير الواجب علينا تجاه رسله وتعاليمهم. وهي تشرح دورنا في ملكوت اللّه، والخلاص العظيم الذي ننعم فيه الآن. وهي تحثّنا على أن نعيش حياة أخلاقية بصفتنا الشعب الذي يشترك في السماء، ويعمل لكي يجلب قيمنا السماوية إلى الأرض. إننا ونحن نسير قدماً في حياتنا المسيحية، فإن تذكرنا للدروس التي علّمنا إياها بولس سوف يساعدنا بالحفاظ على إيماننا،

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وعلى أن نعيش كأعضاء منتجين ومباركين في ملكوت الله.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org